كتب ثقافية

الأدب الشعبي في أوروبا

بقلم

الدكتور جمال الدين الرمادي

الأدب الشعبي
في أوروبا

دراسة رصينة للأدب الشعبي فى أوربا ، ونماذج حية رفيعة لقصص « البالاد » الغنائية الموسيقية .

بقلم

الدكتور جمال الدين الرمادي

— ١ —

لم يعد الشعب كما مهملا فى التاريخ ، ولم تعد دراسة الأدب الشعبي لوناً من العبث الذى لاطائل تحته ولافائدة منه إنما أصبح الشعب عنصراً هاماً من عناصر دراسة التاريخ ، فهو مصدر القوة وهو الرقيب على الحكومات ، كما أصبحت دراسة الأدب الشعبي تدل دلالة واضحة على نفسية هذا الشعب كما تعد تصويراً لأفراحه وأتراحه ومباهجه وأحزانه دون تزويق ودون تزييف ودون كذب أو رياء .

وقد أخذ هـــذا الأدب الشعبي صوراً مختلفة فهو تارة على هيئة قصص شعبي ينتقل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان وهو تارة على هيئة أغاريد أو قصص موسيقية راقصة أو مايعبر عنها الاوربيون بكلمة بالادز .

وعلى أية حال فإن الأدب الشعبي يقوم بشرطين أساسيين لا محيص عنهما ولامفر منهما .

أولهما : أن يكون الأصل فيه الرواية الشفوية .

وثانيهما : أن يعبر عن شخصية الجماعة لا الفرد .

وأغلب هذا الأدب الشعبي لا يعرف قائله بل ربما نسب إلى قائل معين ، بيد أن الآراء لا تلبث أن تختلف والأفكار لا تلبث أن تتباين

حول قائل هذا الفن الشعبي كذلك الخلاف الذى دار حول الإلياذة والأوذيسة حيناً وحول أغنية رولان حيناً آخر .

واتسم بعض هذا الأدب بروح الأسطورة بيد أنه يختلف اختلافاً بيناً عن الاتجاه الأسطورى، ومع هذا فإن الأسطورة لا تلبث أن تكون الملحمة.

وحينما تعبر الملحمة عن اتجاه الجماعة فهى أدب شعبي رائع ولكنها عندما تعبر عن اتجاه الفرد فهى أدب ذاتى موضوعى فقد يصور الشاعر فى ملحمته عواطفه وإحساسه ونزواته الشخصية وإحساساته الفردية ، فهو بذلك يخلق أدباً ذاتياً لا يتصل بمصلحة الجماعة التى يعيش فيها بل يعبر عن تجربة ذاتية مر فيها الشاعر وذاق حلوها ومرها ، وكذلك الحال بالقياس إلى الأسطورة ، فعندما نقصـــد من روايتها تفسير ظاهرة الكون والطبيعة بهذا الأسلوب الذى كان يعتمد عليه الإنسان البدائى فى تعليل هذه الظواهر فهى لا تتعدى وظيفتها الأولى ، أعنى الوظيفة الأسطورية ، أما عندما تخرج من هذا النطاق الجامد الذى ينطلق مع الخيال ، ويتماشى مع الوهم ، ويستند إلى الخرافة ، وتمتد إلى تحليل ضروب النشاط والسلوك كما تصدر عن الناس الذين يسعون فى الأرض، وترسم صوراً ونماذج تشبه إلى حد بعيد بل تشبه كل الشبه الصور والنماذج البشرية ، وتتخذ منها أسوة وعبرة ، فهى عند هذا الوضع أدب شعبي يعتمد على شعور البشر ، ويصور إحساس الجماعة الإنسانية .

فالأساس فى التفريق إذن على حد تعبير الدكتور عبد الحميد يونس هو الأساس الوظيفى ، فإذا تجاوزت الأسطورة وظيفتها الأولى وعدلتها

إلى وظيفة أخرى ، أو انفرطت عقدتها ، وتداخلت عناصرها فيما يصدر عن العاديين من ضروب النشاط والسلوك ، لم تعد مادة أسطورية بالمعنى الصحيح إنما أصبحت مادة فولكورية .

وقد انتشرت فى أوربا ألوان مختلفة من المقامات ويغلب على الظن أن هذا الفن وصل إلى أوربا عن طريق العرب إذ اهتم العرب به اهتماماً شديداً ، ومن أبرز المقامات المحكية عبر السنين مقامات الحريرى وبديع الزمان الهمذانى .

والمقامة فى الأصل حديث مرسل يقوم بالإخبار عن الحوادث والوقائع ، والإعلام عن سير الجماعات والشعوب .

وربما استخدمت المقامة فى ليالى السمر بين الأصحاب والأحباب ، وهى تمتاز فضلا عما فيها من سرد وحكاية بالأناقة فى الأسلوب ، والبراعة فى استخدام الجمل والألفاظ ، وهى على أية حال تعتبر لونا من ألوان الأدب الشعبي الرائع .

— ٢ —

وقد انتشرت الآداب الشعبية فى أوربا منذ أقدم العصور وظهرت عند اليونان والرومان أساطير شعبية كثيرة عاشت قروناً طوالا وتأثر بها الأدب الانجليزى والفرنسي وغيرهما من الآداب الأوربية .

ومن أشهر الأقاصيص الشعبية عند اليونان قصة الصدى والنرجس التى تأثر بها بعض الشعراء الأوربيين .

وتدور حوادث هذه القصة حول إكو .. ذات الجمال والدلال التي كانت تتمتع بجمال باهر وحسن قاهر ، بيد أنها كانت كثيرة الكلام دائمة الحديث ، تكثر من المعارضة وتشتد في النقاش ، فغضبت منها ديانا وهي إحدى الآلهة عند اليونان فسلبتها القدرة على الكلام اللهم إلا المقطع الاخير من الحديث ، وتشاء الأقدار أن تقع إكو في غرام شاب غض الإهاب في ريعان الشباب وهو نارسيس « النرجس » ولكنها لم تستطع أن تبيح له بما يجيش في صدرها من عواطف ويحتدم في قلبها من مشاعر فبراها الحزن واستبد بها الألم وتمكن منها الشجن حتى أسلمت الروح وانتهت حياتها . وكان نارسيس قد ولى وجهه عنها لما عرف مابها من عاهة وأدرك ما ألم بها من كارثة وانطلق إلى الغيد الحسان ينتقي منهن مايشاء ، ولكنه سرعان ماصرف نظره عن ذلك لأنه رأى صورته في الماء فأغرم بها واشتد ولهه من أجلها وصارت شغله الشاغل ليل نهار فهو يتمنى أن يعانقها بيد أنه لايستطيع إلى ذلك سبيلا . ولا يجد إلى هذا طريقاً اللهم إلا أن ينزل إلى الماء فيطويه العباب ويبتلعه الموج ويكون من المغرقين ولم يزل في حزنه حتى مات فرغبت العرائس أن تدثر جسده في ثوب يليق به فلم يجدن سوى غلائل زهرة النرجس التي تحمل اسمه وهي التي لاتزال تنمو حتى اليوم بجوار الجداول والغدران .

وقد شاعت هذه القصة في أوربا واستمد منها بعض الشعراء إلهامهم ومن هؤلاء الشاعر روبرت هرك (١٥٩١-١٦٧٤) الذي أغرم بزهر النرجس ونشر عدة قصائد مستقاة من وحي هذه القصة .

كما ظهرت قصة « ديانا وأنديميون » التى تدور حول قصة ديانا الهة القمر التى كانت تمتطى صهوة جيادها الشهباء الناصعة كفاق النور فوقع بصرها على أنديميون وهو شاب حلو القسمات وضاء الأسارير يرعى الأغنام عند سفح أحد الجبال فكانت تقف عنده كل ليلة لتتمتع معه بأسعد لحظات حياتها ولم تلبث أن أشفقت عليه وخافت أن يدنسه رجس الأرض ويلوثه شر البشر فأغرقته فى نوم عميق لا يستيقظ منه ولا يفيق أشبه بالنوم الذى ألم بأصحاب الكهف وورايته فى كهف بعيد لا يصل إليه إنسان ولا يقترب منه مخلوق .

وقد كانت هذه الأسطورة من أكثر الأساطير ذيوعاً فى أوربا أما أدب الملاحم اليونانى فحدث عنه ولا حرج فإن الإلياذة والأوذسة تعدان من أشهر الآثار الأدبية الشعبية التى تصور البطولة والشهامة وتصور الإلياذة تلك الحروب القائمة بين الإغريق كما تتخللها قصة حب وغرام وتنتهى بهزيمة هيكتور بيد خصمه أخيل الذى ثقب قدميه وشد وثاقهما إلى عربته بقطعة من الجلد وأمر الخيل أن تتقدم تقدما سريعاً فى الوقت الذى كانت فيه جثة خصمه تخوض فى الطين والوحل وترتطم فى الأحجار والصخور حتى وصل إلى معسكر الإغريق ظافراً منصوراً.

وقصدت الإلهة إيريس إلى بريام والد هيكتور تستعطفه حتى يجمع شيئاً من المال ليكون فدية عند أخيل حتى يسترد جثة ابنه فاستجاب بريام لطلب الإلهة إيريس وذهب والدموع تبلل مآقيه وتنسكب على وجهه والحشرجة تضطرم فى صدره يستعطف أخيل وما أن ولج بابه حتى ركع

كالعبد الذليل يطلب منه الرحمة بقلبه المحطم ونفسه المفرقة وصدره الممزق ونهض يغمره بسيل من القبلات وينحنى على قدميه يضمهما إلى صدره ويرشفهما باللثمات فاهتز قلب أخيل لعبرات هذا الشيخ المحطم الفانى وتأوهاته الكسيرة وحسراته الذليلة وسمح له أن يحمل الجثة فحملها الأب المحزون حيث أقيم جناز حزين على وفاته وأشعلت فى جثته النار وظلت النار تأكلها حتى صارت هشيما تذروه الرياح وجمع الحاضرون هذا الرماد المتبقى من الجثة ووضعوه فى إناء من ذهب ودفنوه فى قبر وانتهت بذلك قصة الإلياذة التى تصور تلك الحروب الطاحنة التى عصفت بالإغريق واهتز لها ملك طروادة وأسبرطة أما الأوذسة فتبدا من سقوط طروادة فى أيدى الإغريق واستعادة « ملناوس » زوجة هلن التى عاد بها إلى أسبرطة تغمر وجهه هالة من النور أما يوليسيس بطل الإغريق فإنه لم يعد إلى أسبرطة رغم ذلك الشوق العاصف الذى كان يهز قلب زوجته بنلوب وابنه تلماكس وظل يغامر ويخاطر ويركب البحر ويتصل بعروس البحر كالبسو وتصور « الأوذيسة مغامراته فى هذه الناحية كما تصور لياليه وهو يخوض البحر يصارع الموج والموج يصرعه حتى خرج منه عارياً كما ولدته أمه وقد ضل السبيل بعد أن غاصت سفينته فى اليم ولم تلبث الأحداث أن عصفت به حتى أرسله ملك فيقيا إلى وطنه فى سفينة محملة من الهدايا ويلتقى زوجه المشتاقة إلى رؤيته فيضمها بين ذراعيه ويسأل الآلهة أن تحرمه من فراقها بعد هذا السفر الطويل . وقد ظلت هذه الملحمة الشعبية الرائعة تلهم الأدباء والشعراء فى أوربا فترة طويلة فتأثر بها دانتى فى الجحيم كما تأثر بها الشاعر الانجليزى تنيسون .

أما الأدب الرومانى فقد امتلأ بالأدب الشعبي كذلك وأكثره كان من أدب الملاحم وقد كانت حروب ايناس وسيلة إلى تنمية الأدب الشعبي كما كانت مغامراته ميداناً من ميادين الإلهام ومن أهم الملاحم الرومانية ملحمة الإلياذة التى كتبها الشاعر فرجيل وهى تقع فى اثنى عشر كتاباً وتصور مغامرات ايناس بعد أن دمر الإغريق مدينة طروادة كما تصور الإنياذة ذلك الحب العاصف الذى كان بينه وبين ديدو ملكة قرطاجنة وماقاسى من مصاعب فى سبيل نيل حبها والظفر بقلبها كما تصور تلك الحروب الطاحنة التى اندلعت بين ايناس وخصومه حتى يبسط سلطانه على إيطاليا .

ولم يكن أثر فرجيل فى الأدب الشعبي يقتصر على هذه الملحمة إنما تعداه إلى الشعر الغنائى إذ نظم أناشيد الرعاة وهى أناشيد تبلغ عشرة أناشيد تصور حياة الرعاة فى الريف ولاسيما عندما يهل الربيع بوجهه الضاحك وحلته الزاهية وثوبه البراق ونوره الألاق وأطياره الصادحة وجداوله المترنمة وقد صور فرجيل فى هذه الأناشيد الشعبية الأساطير التى يتغنى بها الرعاة كما صور تلك النفسية الشعبية الثائرة ضد الظلم والطغيان ومن أجل التخلص من نير الاستبداد وربقة الاستعباد فقد وقعت مزرعة فرجيل فى حوزة رجل من أتباع الملك بعد أن قسم الملك الأرض بين أتباعه ومريديه فذهب إليه يلتمس منه استرداد المزرعة

فهاج وماج وأخذ يرميه بكلام أشبه بالقذائف والحمم وقال له فى لهجة صاخبة وعبارة ثائرة تنم عن الضجر والضيق وتدل على الفظاظة والغلظة:

« انفضوا عنى أيها الأوغاد وارحلوا عن وجهى » .

وهكذا كانت أناشيد فرجيل وانياذته من أروع الآثار الشعبية فى الأدب الرومانى كما كانت الإلياذة والأوذسة وأساطير الإغريق من أروع الآثار الشعبية فى الأدب اليونانى .

وعندما نهض الأدب الشعبي فى أوربا استمد كثيراً من أصوله من التراث القديم .

* * *

ومن آثار الأدب الشعبي التى انتشرت في القرون الوسطى « قصة الوردة التى اشترك فى تأليفها شاعران كبيران بيد أنهما لم يعيشا فى زمن واحد إنما تعاقب على كتابتها فأكمل ثانيهما قصيدة الأول بعد نحو نصف قرن من الزمان أما الشاعر الأول فهو وليم لورس الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث عشر أما الشـــاعر الثانى فهو جان دى مونج الذى عاش فى أواخر هذا القرن .

وتدور هذه القصة حول موضوع الحب والفروسية ونحو ذلك من الأخلاق التى كانت تبهر الشعب فى القرون الوسطى كما ظهرت أغانى أهل الظلام منذ القرن الثانى عشر وجمعت أساطير الأبطال الأولين.

وأحدثت فى نفوس الشعب الألمانى مثل ما أحدثت الإلياذة أو الأوذسة.
وتقع نبلنجن ليد فى تسعة وثلاثين مغامرة وبطلها يدعى سيجفرد وهو الاسم الذى استمد منه الألمان خط سيجفرد الحربى فى العصر الحديث وقد كان سيجفرد هذا يمتاز بقوة جباره وعزم حديدى وإرادة فولاذية وكان يقهر الأبطال واحداً إثر الآخر فى شجاعة منقطعة النظير وقد حدث أن صرع ثعباناً واغتسل بدمه ومنذ تلك الآونة أصبح منيع الجسم لاتؤثر فيه الجراح اللهم إلا فى موضع واحد يقع بين كتفيه وكان هذا الموضع بمثابة كعب أخيل فى ملحمة الإلياذة عند الإغريق التى كان يتمثل فيه الضعف فى أجلى صوره وكان سيجفرد يحمل معه سيفاً بتاراً يحز به الرقاب ويقصف به الرؤوس والهامات بيد أنه كان يمتاز فضلا عن ذلك بخاصية سحرية عجيبة إذ كان يظهر ثوباً إذا ماتلفع به البطل غاب عن الأنظار واختفى عن العيون .

وتمضى أغانى أهل الظلام تحكى مغامرات هذا البطل الهمام فتحبس الانفاس وتخفق من جرائها القلوب وقد كانت لهذه الأغانى أثر كبير فى الأدب الشعبي فى أوربا .

وكان يقف بجوارها الكوميديا الالهية التى كتبها الشاعر الإيطالى الأكبر دانتى وهى رحلة خيالية قام بها الشاعر فى الجحيم والأعراف والفردوس وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام ـ الجحيم ـ والمطهر ـ أو الأعراف والفردوس وقد حدث أن أحب دانتى وهو فى ريعان العمر حينما التقى

بصاحبته بياتريس فكانت وحياً له فى رحلته بل فى حياته كلها وعندما ماتت بعد أن تزوجت من غيره قال : « لقد فقدت وجودى بفقدها ولم يعد لى فى الحياة متاع أنعم به . وقد كان فرجيل صاحب الالياذة دليلا فى رحلته ومعه تنقل بين أرجاء الجحيم .

— ٤ —

وقد قام شعراء التروبادور وهم الشعراء الطوافون الذين كانوا يتنقلون فى إقليم بروفانس فى فرنسا وغيره من الأقاليم بدور كبير فى نشر الأدب الشعبي والملاحم الشعبية التى غمرت أوروبا .

ويعتبر ملك انجلترة ريتشارد قلب الأسد أحد هؤلاء الشعراء الذين حفظوا أدب التروبادور وعملوا على تشجيعه ونشره وإذاعته بل إنه نفسه نظم قصيدة من ألوان الشعر الشعبي عندما كان سجيناً فى المجر أثناء عودته إلى بلاده بعد أن خاض غمار الحرب الصليبية فى الشرق ، واكتوى بنارها وضاق صدره من حرها .

وقد تأثرت الأغانى الشعبية فى أوربا بأغانى العرب وموشحاتهم فى العصور الوسطى ومنها ألحان زريات الذى أثبت حذقا كبيراً فى الموسيقى وجدد فى الألحان تجديداً لم يعرفه أحد من معاصريه ، وكان يدعى أن الجن تعلمه الألحان ، وكان يهب من نومه سريعاً فيدعو جاريتيه غزلان وهنيدة فتأخذان عوديهما ، ويأخذ هو عوده ، ويطارحهما ليلته ثم يكتب الشعر ويعود إلى مضجعه ، وقد أضاف زرياب إلى العود وترا

خاصاً ، وكان فى أيامه أربعـــة أوتار كما أسس مدرسة فى الغناء والموسيقى بقرطبة .

وقد أثرت ألحان زرياب فى الشعراء الجوالين ، كما أثرت ألحان غيره من الموسيقيين العرب فى الموسيقى الأوروبية، وقد أوضح أحدالباحثين الموسيقيين وهو الأستاذ أحمد المصرى فى بحث له مدى تأثر الألحان الموسيقية عند الشعراء التروبادور بألحان العرب .

والمعروف أن أشبيلية كانت موطناً هاما من مواطن الغناء والموسيقى حتى قيل ، إذا مات عالم بأشبيليه فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى أشبيلية .

ولم يكن التأثير منتصراً على الألحان فحسب إنما امتد كذلك إلى كلمات الغناء . وقد نشر المستشرق الأسبانى انخل بالنثيا منذ سنوات بحثاً باللغة الأسبانية عن الأدب الأندلسى تعرض فيه للصلة بين الموشحات الأندلسية والأغانى الأوروبية ، ويعتبر كتابه هذا من أهم المراجع فى دراسة تاريخ الأدب الأندلسى .

وأغلب هذه الموشحات موشحات تبعية كانت تمثل شعور الجماعة وتعبر عن مشاعر الشعب - ويمكن أن نعدها من الآثار الشعبية الرفيعة .

ومن الآثار الشعبية الفرنسية التى انتشرت فى العصور الوسطى أنشودة المغامرة وهى قصة شعبية طريفة تدور حول بطولة الفرسان

وشهامة الركبان وتتعرض لتاريخ فرنسا القديم وكذلك أغنية رولان وهى أنشودة تتعرض لقصة فارس من فرسان شرلمان دارت بينه وبين العرب معركة حامية الوطيس فى ممر من جبال البرانس وقد اكتشفت هذه الأنشودة منذ نحو قرن من الزمان وترجمت إلى الانجليزية والإيطالية وتأثر بها الشاعر الإيطالى أريوستو .

وذاعت قصيدة السيد فى فرنسا وأسبانيا وبطل القصيدة يلقب بالسيد وهو أحد أبطال المعركة ضد العرب وقد اتخذه كورنى بطلا لإحدى مسرحياته .

وكما شاعت فى الأدب العربى شخصية جحا شاعت فى الأدب الانجليزى شخصية وليم الطحان وفى الأدب الإيطالى شخصية بارتولتو وفى الأدب الروسى بلاكيرو .

وقام شعراء الطرق فى إبان العصور الوسطى وهم الذين يطلق عليهم إسم «جونجلير» بدور كبير فى نشر الأدب الشعبى بأغانيهم التى كانت تؤلف من بنات أفكارهم وقد امتازت هذه الطائفة عن التروبادور بالفروسية والميل إلى المجون والاتجاه الى الحركات الداعية إلى الضحك ولعل كلمة الجونجلير تقابل كلمة الادباتى فى اللغة العربية .

وإن المتتبع لتاريخ الأدب الشعبى فى أوربا يجد أن هذا الأدب تأثر بالأدب الشعبى عند العـــرب ولأمر ما كانت أوزان الشعر الشعبى القديم فى إيطاليا كما نراها فى أناشيد جاكوبونى ذى تودى .

وكما نراها فى أغانى المرافع وهو العيد الذى يسبق الصوم الكبير عند الكاثوليك أو كما نراها بوضوح وجلاء فى أغانى البالاد مستمدة من أوزان الشعر الشعبي القديم فى بلاد الاندلس بل إن قصة القاسم ونيكوليت التى انتشرت فى أوروبا فى العصور الوسطى تحمل طابعا عربيا ويرجح أنها من أثر الاتصال بين العرب والأسبان ويغلب على الظن أنه محرف عن اسم القاسم كما يغلب على الظن كذلك أن قصة شوسر الفارس الغلام مستمدة من قصص ألف ليلة وليـــلة قد جاءت أوروبا على يدى التجار الإيطاليين فى إقليم البحر الأسود وآية ذلك أن قصة شوسر تدور فى بلاط خان المغول على نهر الفولجا أو كما يقول نفسه فى السراى ببلاد التتار بل إننا يمكن أن نقول أكثر من هذا أن المقامة العربية وجدت من يقلدها فى أوربا فقصة الفارس كيفار الاسبانية تشبه إلى حد بعيد شخصية جحا فى القصص الشعبية ومن المحتمل أن تكون هناك علاقة بين مقامات الحريرى فى الأدب العربى وقصص الصعاليك التى شاعت فى أوربا فالحريرى عرض لنا فى مقامته أبا زيد السروجى مرة فى دور شحاذ شريد ومرة فى ثوب أديب أريب وكارة فى دور واعظ جليل وطورا فى دور صعلوك حقير بيد أنه صاحب حيلة ودهاء ومكر وخداع وهو يتنقل من قوم الى قوم ويطوف بجماعة بعد جماعة ويثبت فى جميع الأحوال براعته ومهارته وحذقه وخبرته وتشبه بعض قصص الصعاليك فى أوربا هذا اللون من الأدب شبها عظيما ولايستبعد أن تكون مقامات الحريرى قد أثرت فى الأدب الاوربى على هذه الصورة وهذا الوجه .

بل يذهب بعض المستشرقين إلى أن الشاعر الإيطالى الكبير دانتى

الذى تعرض لفكرة الإسراء فى ملحمته الخالدة الجحيم تأثر بفكرة الإسراء التى عرفت عن الرسول محمد ﷺ حين أسرى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وامتطى صهوة البراق تلك الدابة التى حملته عبر السماء وعرجت به بين أطباقها والمعروف أن هذه القصة ذاعت ذيوعا عظيما ابتداء من القرن التاسع الميلادى وقد أضفى عليها المسلمون أثوابا من الخيال والشعر والقصص الدينى وتبدأ الرحلتان رحلة الإسراء ورحلة دانتى بعد حلم عميق كما تتشابه صور الجحيم فى كلتا القصتين وصور العذاب والريح الهوجاء التى تعصف بأهل الآثام كما يذهب بعض الباحثين إلى أن دانتى تأثر بأبى العلاء المعرى فى «رسالة الغفران» حين تعرض فى هذه الرسالة إلى ما يشبه هذا من الإسراء ولا يستبعد أن يكون كلا الشاعرين تأثر بقصة الإسراء المحمدية التى كانت من أغرب القصص التى شاعت منذ ظهور الاسلام .

وكان الأديب المعروف سرفانتس مدينا إلى حد كبير للثقافة العربية وتحمل قصته دون كيشوت طابعا عربيا فى كثير من فصولها وقد قال عنها المستشرق الكبير بريسكوت إنها أندلسية بحتة .

ويمكن أن نقول إنه لولا قصص ألف ليلة وليلة الشعبية لما عرفت قصة روبنسن كروزو وكذلك رحلات جليفر فلا يستبعد أن يكون دانيل ديفو مؤلف القصة الأولى وجوناثان سويفت مؤلف القصة الثانية تأثر بقصص ألف ليلة وليلة الشهيرة .

كما يذهب بعض المستشرقين الى أن قصة روبنسن كروزو مأخوذة

عن قصة حى بن يقظان لابن طفيل كما يذهب المستشرق الأسبانى بالنثيا إلى أن قصة حى بن يقظان تشبه إلى حد بعيد قصة الصنم والملك وابنته المخطوطة فى مكتبة الأسكوريال ونشرها غراسيا غومس مع دراسة وتحليل منذ سنوات .

وتعتبر قصة جوناثان سويفت « رحلات جليفر » من أشهر القصص الشعبية المعروفة فى الأدب الانجليزى وهى وصف لأرض العمالقة ضيأ ، وأرض الأقزام ضيأ آخر ، والبقرة عند الاقزام فى حجم الفرخ الصغير والمنزل فى حجم الصندوق وهلم جرا ، وسوفت عندما يكتب هذا اللون من الأدب الشعبى لايقصد التسلية والفكاهة فحسب انما يرمى إلى السخرية والتهكم اللاذع ، وما كان يدور من معارك فى رحلاته ليس إلا إشارة إلى مايدور بين الأمم من الحروب ، وما كان يظهر فى رحلاته من حماقة ليس إلا دليلا على مايجرى بين الناس من أمور تدل على الحماقة وتنم عن الطيش ، وما كان يتمثل فى رحلاته من ظلم وطغيان ليس إلا تعبيراً عما فى هذا العالم من بغى واستبداد ، وتحكم القوى فى الضعيف وإذلال الغنى للفقير ، وقد كان يرمز بامبراطور الأقزام إلى الملك جورج الأول الذى كان يحمل آراء سياسية متطرفة .

وعلى هذا المنوال كانت قصة سويفت « رحلات جليفر » معبرة عن شعور شعبى كان يعيش فى النفوس ، ويضطرب فى القلوب ، ولايجد سبيلا إلى التعبير عنه أو النطق به .

أما القصة « روبنسن كروزو » التى كتبها دانييل ديفو (١٦٦١-١٧٣١)

فهى تعبير عن شعور الفرد فى الرغبة إلى ارتياد المجهول ، وتحطيم الصعاب - والتخلص من العقبات ، وقد ظفرت هذه القصـــة بشهرة منقطعة النظير ، وترجمت إلى شتى لغات العالم ، وقد استطاع مؤلفها أن يقنع الناس منذ البداية أنه مقبل على حكاية قصة واقعية ولم يلبث أن انطلق مع الخيال ، فاذا هو يروى قصة رجل يعيش فى جزيرة مهجورة وقد تقطعت الاسباب بينه وبين الناس بيد انه استطاع أن يقهر ما اعترضه من صعاب .

— ٥ —

ومن القصص الشعبية التى انتشرت فى أوربا كذلك قصص الديكاميرون التى ألفها الكاتب الإيطالى جيوفانى بوكاشيو وهى أشبه بقصة ألف ليلة وليلة المعروفة فى الشرق .

ويتداول الرواية فى هذه القصص عشر شخصيات هم ثلاثة شبان وسبع فتيات وقد هربوا من فلورنسا عندما اجتاحها الطاعون وفتك بأهلها فتكا ذريعاً دون شفقة ولارحمة فلاذ هؤلاء الشبان والشابات إلى سفح جبل قصى وأخذوا يروون القصص يحكون الروايات ويقطعون الوقت حتى يخلصوا أنفسهم من هول المرض الرهيب الذى يذهب بآلاف من الضحايا وتشتمل قصص الديكاميرون وهى تعنى بالإيطالية الأيام العشرة على قصص واقعية وأخـــرى من نسج الخيال بيد أنه اتخذها وسيلة من وسائل الدرس الخلقى وتهذيب النفس وتصفية القلب ...

وتعرضت بعض هذه القصص لكنوز الملك سيان كما تعرضت

لبطولة البطل صلاح الدين الأيوبى وغير ذلك من الشخصيات التاريخية.
والشخصيات الخرافية

ولا يمكن لمؤرخ الأدب الشعبي فى أوروبا أن ينسى جهود سرفانتس فى ميدان هذا الأدب فقصته دون كيشوت قصة شعبية رائعة لاقت رواجا شديداً فى أوربا وبطلها دون كيشوت فلاح فقير بيد أنه ينحدر من أسرة عريقة وقد أدرك الجدب أرضه فأصبحت قفرة لا زرع فيها ولا نبات فأراد أن يتخلص من هذا الواقع المرير وينطلق إلى دنيا الخيال والأحلام وكان قد أعجب بقصص الفروسية والبطولة فأخذ ينفق كل ما عنده من أجل شراء كل ما يتناول الفروسية من هذه الكتب حتى باع جزءاً من أرضه وأصبح أقرب إلى الهلاك منه إلى اى شيء آخر وفعلت هذه الأقاصيص فى نفسه الأفاعيل فأراد أن يكون بطلا من أبطالها وصنديداً من صناديدها وشرع يفكر فى القيام برحلة طويلة فامتطى صهوة جواده وحمل سيفه وكان مكسور المقبض فطفق يلم أجزاءه ويجمع أشتاته وأخذ يدب فى الأرض فوق حصانه الهزيل ومعه هذا السيف المكسور وحربة ضئيلة ومضى يقطع البيد والقفار ويعبر الوديان والأنهار ويختلط بأنماط مختلفة من الناس يتعلم منهم حقائق الحياة ويدرك منهم جهله واندفاعه .

وقد لاقت قصة سرفانتس دون كيشوت نجاحاً منقطع النظير فى أوربا وقال عنها الناقد الانجليزى الكبير السيروولتر رالى أنها أحكم وأعظم كتاب فى العالم كما ترجمها الدكتور عبد العزيز الاهوانى إلى العربية فى مشروع الألف كتاب .

وتوجد فى الأدب الأندلسى قصة يوسف وزليخة ، وقصة ذو القرنين وحديث الملك الاسكندر ، وقصة ذوياب ، وكلها قصص تشبه إلى حد بعيد تلك القصص المماثلة فى ألف ليلة وليلة وكل هذا يدلنا دلالة واضحة على أن هناك كثيراً من الآداب الشعبية فى أوربا متأثرة بالأدب الشعبى العربى .

ولكن هذا لا يفيد أن الأدب الشعبى كله فى أوربا كان متأثراً بالعرب فهناك أعمال أدبية شعبية كبرى عاشت قرونا طوالا دون أن يكون للعرب أثر فى نشرها بل ربما وجدنا آثاراً أدبية انتشرت فى أوربا فى عصور متأخرة وهى تحمل طابع الأدب القديم .

وقد استأنف شوسر قصة الوردة التى كتبها الشاعران لورس وديمنج فى العصور الوسطى كما استمد من أسطورة إكوونارسيس بعض قصائده الشعرية فطار صيتها فى الآفاق لما لها من اتجاه أسطورى طريف شاع بين طوائف الشعب ولعل حكايات كانتربرى من أروع الأعمال الأدبية التى كتبها شوسر وكان لها صدى أدبى كبير بين طبقات الشعب وقد حذا فيها حذو بوكاشيو فى قصصه الديكاميرون وقد تنقل فيها بين الشخصيات المختلفة من الملوك إلى السوقة ومن المأجورين إلى أصحاب الأعمال ومن العلماء الذين يدرسون العلم إلى الطباخين الذين يطهون الطعام ومن الرهبان الذين يعبدون الله فى صوامعهم إلى الطحانين الذين يطحنون الدقيق وهكذا تعددت الصور فى قصص كانتربرى وقد زاد من جمالها أنها كتبت بأكثر اللهجات شيوعا فى انجلترا وهى لهجة الوسط الشرقى فعمل ذلك على

انتشارها وزاد ذلك من انطلاقها بل إنها لم تقتصر على انجلترا فحسب إنما امتدت إلى أوربا بأسرها إذ رواها شوسر على أنه حاج من الحجاج يصادف صفوفا مختلفة من الناس فلم تلبث هذه الصفوف فى شتى البلاد أن وجدت فى قصصه صورا لحياتها وانعكاسات لأعمالها .

أما جون ملتون فقد كتب ملحمة كبيرة طار صيتها فى الآفاق وهى ملحمة الفردوس المفقود وهى فى اثنى عشر جزءاً بعضها يتناول خلق الإنسان وبعضها يتناول إيقاع الشيطان بالإنسان وبعضها يتناول عصيان آدم وحواء وطردهما من الجنة وقد كتب ملتون بعد ذلك قصيدة الفردوس المردود فظفرت بشهرة واسعة وكانت قرينة للملحمة الأولى.

وقد وقف إلى جانب هذه الملاحم الأدب الشعبى الذى يجرى على ألسنة الطير والحيوان وكان زعيم هذا الأدب الأديب الفرنسى لافونتين وهى حكايات لم يبتكر لافونتين أغلبها إنما كانت حكايات شائعة بيد أنه صاغها بأسلوب جميل وبعض هذه القصص بطلها ثعلب أو أسد أو نحو ذلك وقد ترجم بعضها إلى العربية فى مستهل القرن العشرين كما نظم بعضها شعراً أمير الشعراء أحمد شوقى .

وليس الغرض من هذه القصص التسلية أو التلهية فحسب إنما كان يهدف من ورائها إلى غايات بعيدة ومغزى عظيم .

ولعل لافونتين تأثر بالكاتب اليوناني ايزوب الذي كان ألف كثيراً من الحكايات الخرافية على ألسنة الحيوان والطير ولكن جان جاك روسو انتقد لافونتين في بعض حكاياته انتقادا مراً وقال إن بعض أمثاله لا تدعو إلى الأخلاق الفاضلة أو السجايا الحميدة بل على النقيض من ذلك تعلم الرذائل والأخلاق الذميمة وضرب بذلك مثلا قصة الثعلب الذي مكر بالغراب فأخذ يمدح صوته مدحاً عظيما وصل إلى عنان السماء فلم تلبث أن سقطت قطعة الجبن من فمه فتناولها الثعلب وهو يسخر من الغراب فهذه القصة في نظر جان جاك روسو تعلم المداهنة والرياء وأحقر وسائل الخداع كما أن قصة الصرصور والنملة تعلم القسوة والغلظة كما أن قصة الثعلب الذي رفض أن يحي حياة الكلب المدلل تعلم حياة التمرد والعصيان ولكن خرافات لافونتين كلها ليست من هذا الطراز إنما هنالك حكايات تعلم الشهامة والبطولة وقد صدق شامفور .

وقد صدق شامفور حين قال : إن لافونتين ليس شاعر البطولة بل شاعر الحياة المألوفة والحكمة الدارجة والعمل واليقظة والنظر إلى عواقب الامور بغير قلق ولا اضطراب كما يقول الناقد الفرنسي تين في كتابه عن لافونتين : « إن لافونتين بين شعراء فرنسا بمنزلة هومير بين شعراء اليونان فهو شامل مثله : الرجال والآلهة والحيوانات والمناظر الطبيعية الخالدة والمجتمع لذلك العصر كل أولئك في كتابه الصغير تجد الفلاحين فيه إلى جانب الملوك والقرويات إلى جانب السيدات

العظيمات كل فى ظروف حياته وعواطفه ولغته . . . إن صغارنا يتعلمونه عن ظهر قلب كما كان صغار اللاتينيين يستظهرون هومير . بيد أنهم لا ينفذون إلى أعماقه بل يفهمونه على الإجمال . »

وهكذا كانت حكايات لافونتين من أروع الآثار الأدبية الشعبية التى تناقلتها طوائف الشعب وعرفها الصغير والكبير لا فى فرنسا فحسب بل فى أوربا بأسرها وامتدت إلى العرب فمضوا ينقلونها ويعلمونها للصغار « وما كتاب العيون اليواقظ » الذى نشره محمد عثمان جلال إلا أثر من آثار الشاعر لافونتين وأدبه الشعبي عند العرب

وجاء فى ترجمة عثمان جلال لبعض حكايات «لافونتين» هذه الأبيات

كان البخيل عنده دجاجة	تكفيه طول الدهر شر الحاجة
فى كل يوم مر تعطيه العجب	وهى تبيض بيضة من الذهب
فظن يوما أن فيها كنزاً	وأنه يزداد منه عزا
فقبض الدجاجة المسكين	وكان فى يمينه سكين
وشقها نصفين من غفلته	إذ هى كالدجاج فى حضرته
ولم يجد كنزاً ولا لقية	بل رمة فى حجره مرمية
فقال لاشك بأن الطمعا	ضيع الإنسان ما قد جمعا

كما قال مترجما بعض الأمثال عن لا فونتين :

واحذر مدى الأيام كل ساهى	فإن تحت رأسه الدواهى

وقال كذلك :

جانب السلطان واحذر بطشه　　لا تعاند من إذا قال فعل

وقد أنفق عثمان جلال كثيراً من المال فى طبع أمثال لا فونتين بعد أن أخلف أحد أصحاب المطابع وعده فى نشرها فقال :

راجى المحـال عبيط　　وآخـر الزمر طيط

والناس فاثنـان بخت　　مـروج وقليـط

والعـلم من غير حـظ　　لا شـك جهل بسيط

وعلى هذه الصورة تنوعت صور الأدب الشعبى فى أوربا واختلفت أشكاله ولكننا ينبغى أن نصرح بأن الأدب الشعبى ليس هو الأدب الذى يكتب بلغة معينة كلغة العامة أما الأدب الذى يكتب بالأسلوب الأدبى الرفيع فهو أدب غير شعبى لأن هذا القول يجعلنا نسحب من الأدب الشعبى كل ما كتب بهذه اللغة إنما المعول على معرفة الأدب الشعبى هو الوظيفة أعنى الوظيفة الشعبية الجماعية التى تتخلص من الفردية وتنأى عن الذاتية .

— ٧ —

وقد آثرت فى هذا الكتاب أن أنقل إلى القارىء العربى لوناً من ألوان الأدب الشعبى المختلفة وهو لون أدب البالاد ونحن لا يمكن أن نلجأ إلى تعريف جامع مانع لهذه الأغاريد فى سهولة ويسر ، وربمـا كان الأقرب إلى الصواب أن نقول أنها أقاصيص شعبية موسيقية راقصة

تغنى بها الناس قديماً وحديثاً ومنها ماهو فى الحب ، ومنها ماهو فى الحرب ومنها ماهو فى مراح الشباب ، ولقاء الأحباء ، ومنها ماهو فى أتراح العمر ، ومرارة الموت ، ومنها ماهو فى البحار والسفن . ومنها ما هو فى الملائكة والشياطين ومنها ماهو فى غير هذا كله من الأغراض التى يتوخاها الشاعر والتى لاتخص نفسه ولا مشاعره ولا عواطفه إنما تخص غيره ومشاعره وعواطفه .

وقد انتشر هذا اللون من أدب البالاد فى انجلترة منذ قديم الزمان ثم انتشر فى أوربا - وربما عرف الأمريكيون عنه شيئاً ، وهذه البالاد منها القديم والحديث كما قلت ومنها ماصدر عن شاعر معروف أو شاعر مجهول .

ولكنها ذاعت على الألسن ، وانتقلت بين الشفاه ، وارتحلت عبر السنين من ثغور الشيوخ إلى ثغور الشباب فنسى الناس شاعرها الأول أو لعل موكب الزمان دفعهم إلى نسيان هذا الشاعر دفعاً ، فاختفى اسمه ، وخفت ذكره ..

ومن يدرى لعلها صدرت فى نشأتها عن هؤلاء الموسيقيين الجوالين والشعراء المتنقلين المعروفين فى الأدب الانجليزى باسم « مسترلز » الذين كانوا يتنقلون من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان يترنمون بأعذب الأغاريد ، وأحلى الترانيم للناس .

ومما نلاحظه فى هذه الأغاريد أنها كثيراً ماتلجأ إلى التكرار وكان لابد من هذا التكرار لأن القول كلما تكرر تقرر كما يقولون ، ولأن

هذا التكرار يجعل الأغرودة حلوة الترجيع ، جميلة التوقيع ، شجية الإيقاع . .

وقد صيغت هذه الأغاريد الراقصة فى أسلوب سهل ممتع لا يتحرج منه أرباب البلاغة وأصحاب البيان،وقد نقلتها إلى اللغة العربية فىأسلوب أرجو أن يكون متين الصوغ جيد السبك ، كما نقلتها فى أسلوب لك أن تسميه نثرا ، ولك أن تسميه شعراً ، ولك أن تسميه شعرا ونثرا فى آن واحد ، ولم أتقيد فيه بوزن ولا قافية ، إنما تركته حراً يؤدى مايرمى اليه الشاعر فى أمانة ودقة ، وربما عرض له الوزن أو القافية فى بعض الأحايين ، فيؤدى الأمانة والدقة فى النقل أولا ثم يؤدى التنغيم والترنيم ثانيا .

ولعل أميز شىء يبهرنا فى هذه الأغاريد أو هذه البالاد هو الشىء الذى امتازت به الأغاريد الإيطالية التى أخذ عنها الانجليز أغاريدهم الا وهو القصة الموسيقية الطريفة اللطيفة التى يسوقها إلينا الشاعر فينتزع منا العجب والإعجاب ، وقد حرصت على نقل هذه القصة دون تغيير أو تبديل .

نماذج من أدب البالاد

الشيطان العاشق

أين كنت ياحبيبي القديم هذا الزمن الطويل ؟
وأين كنت فى هذى السنوات السبع أو تزيد ؟
هأنذا جئت أتشادى بألحان حبي القديم
التى منحتنى من قبل إياها . . . . . .

موسـيقى

فصاحت أن أمسك عن ألحانك الغوابر
فلسوف تذكرنى بكفاح عنيف يشق المرائر
أمسك اللسان عن ألحانك الغوابر
فلقد أصبحت اليوم ربة دار !! . . .

موسـيقى

عبث هواك قلبنى رأسا على الأعقاب
وقرح الدمع الهتون محاجر الأجفان
فلولاك ما وطأت وطـأة قدماى
أبدا فوق ثرى أيرلندا ...

موسـيقى

كنت أستطيع أن أزف إلى ابنه ملك
بعيداً . . . بعيدا وراء البحار . . .
كنت أستطيع أن أزف إلى ابنة ملك
لو كنت أسدلت على حبك الستار . .

موسـيقى

إن لم تكن زفت اليك ابنة رب التاج
سق الى نفسك العتب والملام
حرى أن تزف اليك ابنة رب التاج
فأنا لم أكن إلا هباء . . . .

موســـيقى

واها لزيف عهود الهوى من الغانيات!
وإن تدبجت بالحسن أجسادهن الزيفاء
فلولاك ماوطأت مرة قدماى . .
أبدا فوق ثرى أيرلندا . . . . . .

موســـيقى

إن أكن أودعت خلفى زوجى الحبيب
وطفلى الحبيبين فى المهاد . .
فالى أين أزمعت الرحيل أيهذا الهمام ؟ !
ان قدر لى أن أذهب واياك . . .

موســـيقى

أقتنى سبع سفائن فى عرض البحار
وقد أرسانى السفين الثامن عند الشطآن
وفى كل سفين من البواسل أربع وعشرون بحارا
حمل كل منهم فى يده قيثاراً . . .

موســـيقى

فطوت على طفليها الصغيرين ذراعا
وغمرت جسديهما بفيض من اللثمات
وداعا طفلاى الحبيبان وداعا . . .
فلن أراكما ثانية حتى الممات !!

موســـيقى

وأرست قدمها على متن السفين
ولم تكد تلمح أحداً من البحارين
سوى شراع من التفتاه . . . .
وقلاع من ذهب مضروب . . . !!

موســـيقى

وأخذ يشق حيزوم السفين الماء
ولم يكد يقطع سوى ثلاثة أميال
حتى رأت قدمه البشع المشقوق
فطفقت تتناوح فى أنين . . . .

موســـيقى

فصاح أن أمسكى عن هذا النواح
واقلعى عن دمع هتون الانسكاب
فسأريك كيف تزهو الازاهير
فوق شطئان إيطاليا . . .

موســـيقى

ماهذى الأطواد الشوامخ هناك
تنسكب عليها شعاعات الشمس فى جمال ؟
فأجاب إنه طود الجحيم هناك ؟
حيث أنا وأنت شددنا الرحال . . .

موســـيقى

وكلما رنا إليها وأدار إليها محياه
طفق يأخذ من الطول منتهاه
حتى غدت قلاع السفين الطوال
خفيضة عنه أى انخفاض ...

موســـيقى

وقرع سارية السفين بقبضة من يديه
واطم صدر السفين بلطمة من قدميه
فتمزق السفين وتهاوى فى الماء
وأغرقها فى غور سحيق ... !!

ابنة إيرل مار

ذات وقت أبلج بهيج
فى يوم صائف رقيق
أوغلت ابنة الإيرل فى المروج
ترتاض وتلعب فى الفضاء الطليق ...

موســـــيقى

وبينما الفتاة ترتع وترتاض
تحت دوحة البلوط الخضراء ..
أبصرت طائراً يتوهج بالنشـاط ...
جثم على أوج قنة علياء ...

موســـــيقى

أيهذا الطائر الحبيب المصداق
ليتك تتنزل إلى من ذراك
فلدى قفص من ذهب أحمر ألاق
يغنيك عن دوحتك الجرداء ...

موســـــيقى

ولم تنبس بهاتيك الكلمات فى بيان
ولم تسق الكلمات فى تتايه واختيال
ولكن الطائر حلق فى الأجواء . . .
ثم جثم على هامة الفتاة . . . . . .

موسـيقى

وأحضرت الفتاة الطائر اللطيف الجميل
وأطلقته فى أبهاء القصر الظليل
وجعلته أجمل طير بين الأطيار ..
ينعم فى كنف القصر كأرباب القصور

موسـيقى

وعندما أدبر النهار وأقبلت الدياجى
تراءى بين لجج الحلك وظلال المساء
شاب وسيم فى شرخ الشباب
واقف عن كثب يأنس بالجوار !!

موسـيقى

فقالت أواه من أنت أيها الفتى اليافع ؟
ومن أى بلدة حركت عصا التسيار ؟
فأجاب عبرت عبر أليم الخضم !
وقطعت البحار والقفار فى هذا اليوم !

موسـيقى

إن أمى يتألق على رأسها التاج اللألاء
وعلى بينة من السحر المبين الحلال . .
سحرتنى إلى طائر يسبح فى الأجواء
كيما أطير حيثما أشاء . . .

موسـيقى

وفى نفس اليوم الأغر السعيد
الذى فيه رفرفت أجنحتى على صفحة البحر
خفق خافقى من حبك لأول نظرة . . .
وألقيت بين يديك الحياة أو الممات . . .

موسـيقى

أى هذا الطائر البديع الصدوق !
لن تقدر من بين يدى على المغيب
ولن يحول مثلك بخلد حبيب
وسوف تبدى الأيام صدق ماتقول !

موسـيقى

وقبع الطير معها فى البهو الظليل
عشرين سنة من العمر وثلاث
حتى أقبل فارس مغوار ذائع الصيت
يخطب ود تلك الغادة الحسناء !

موسـيقى

ولكن لم تفتأ تأبى الفتاة الخطاب
وترد الهديات الحسان والقرابين
قانعة بإخلاص الوحدة فى الحياة .
فى حضن هذا الطير الجميل . . .

موسيقى

فأقسم الأب القسم الغليظ
بين ملأ النبلاء الغفير
غداً قبل مساس الشراب والطعوم
سأردى ذياك الطير إلى الحتوف !

موسيقى

وكان الطائر رهين القفص الجميل
فأصغى إلى قسم الأب الشديد
فقفز من خلل النافذة واستطار
وأصبح مرة أخرى فى الفضاء الطليق !

موسيقى

وحلق الطير فى الفضاء وحام
وراء البحر والعباب الغضوب
وهبط على حصن أمه الحصين
فوق قلعة عليـاء من ذهب نضار !

موسيقى

وكانت ربة التاج تتمشى فى الخلاء
كيما ترى ماتريد ان تراه !
وهنالك تراءى الابن العزيز
جاثم على قنة القلعة العلياء !

موسـيقى

فصاحت أن أحضروا الراقصات والقيان
وادعوا الموسيقيين على القياثر والكمان
فهاهوذا فلذة كبدى الأعز فلورنتين
أقبل كيما يعيش معى بعد طيلة الغياب !

موسـيقى

بدلا من تراقص الراقصات يا أماه !
وعزيف المزاهر وتغريد الشداه !
اسحرى أربعة وعشرين من الرجال
إلى أطيار فى ريش من رماد !

موسـيقى

أبنائى السبعة رهن يديك سبع جمعات
حتى يطيروا فوق الرؤوس والهامات
وأنا طائر مرح الأعطاف حلو النغمات
غير أنى طائر على المكان . . .

موسـيقى

وحلق سرب الطير فى الفضاء وحام
وراء البحر والعباب الغضوب . .
حيث هبط عن كثب من قلعة السيد العظيم
يحتمى بأفانين كل شجرة من الأشجار . . .

موسيقى

وتناقل الطير بين الأشجار والأدواح
وهبط على قباب القصر والبهو الظليل
وعندما أقبل موكب العرس الجميل
حلق فوق الرؤوس فى غدو ورواح !

موسيقى

وأمسك بغاث الطير بأعناق الشراه
فلم يستطع امرؤ العراك أو الفرار
وأمسكت البجعات بالعريس فى ثبت وتصميم
وحولته إلى دوحة من البلوط خضراء ! !

موسيقى

وحوم السرب حول إماء العروس
وأكثر حول زهرة الحفل المطاف
وفى غمضة من غمضات العيون
كانت العروس تسبح فى بحر الفضاء !

موسيقى

روبن هود

اثنا عشر شهر فى العام تكون
هكذا سمعت وهكذا قال الاولون
ولكن أمرح شهر فى الحول يكون
شهر مايو ذو الوجه الصبوح

موسـيقى

الآن أزمع روبن هود إلى نوتنجهام الرحيل
عبر البيد والوهاد المعشوشبة طيلة النهار
حتى ألفى امرأة عجوزاً شمطاء ...
تذرف الدمع على قارعة الطريق ..

موسـيقى

ماخطبك ! ماخطبك أيهذى العجوز الشمطاء !
وأى أنباء حملت بين أردان الثياب ؟
فصاحت لدى فى نوتنجهام ثلاثة أبناء
يساقون اليوم إلى حضن الممات !

موســـــيقى

ماذا جنوا ؟ ! صاح روبن هود ...
أسوق إليك كيما تنبثى الرجوات
إنه لذبح ظبية الملك الدكناء
تحمل عنهم أطايب التجلات ! !

موســـــيقى

هلا تعقلين أيهذى العجوز الشمطاء !
وكيف تدعينى إلى غذاء أو عشاء !
قسما بهذا الجسم القوى الهمام
لن تنبس شفتاك بمثل ما تقولين !

موســـــيقى

وأتى روبن هود فى البلد عصا التسيار
بعد أن عبر البيد والوهاد طيلة النهار
وهنا لك صادف كهلا تبرك بسعف من نخيل
يتهادى فى خطوه عبر السبيل ! !

موســـــيقى

ماخطبك ! ماخطبك أيهذا الشيخ العجوز !
ترى أى أنباء حملت بين أردان الثياب !
فأجاب ثلاثة نبلاء فى البلد الأمين
سيساقون اليوم إلى رشف الهلاك !

أقبل انزع عنك هذى الثياب !
واطو على جسدك هذا الدثار !
وخذ عشرة من النقد الفضيض
كيما تجرع راحا أو كأسا من سلاف !

موسيقى

ما أبهى ذاك الرداء البديع !
وما أهل هذا الثوب الرقيع !
ولكن حينما تمتطى وأينما تسير
لا تنظر للعجوز نظرة الاستهزاء !

موسيقى

وتزمل بثوب العجوز المهلهل الرقيع
بألوان حمر وزرق وسود !
ولم يعتوره خجل طيلة النهار !
أن يحتمل على ظهره جعبة الزاد !

موسيقى

والتبس حذاء العجوز الجسيم
الذى ماد فى قدمه فى قلقلة واضطراب
ولكن روبن هود أقسم القسم الأكيد
أن الدأب الطيب يخلق الرجال !!

موسيقى

وبلغ روبن هود مدخل البلد الأمين
وعبر البيد والوهاد المعشوشبة طيلة النهار
وهنالك صادف الشريف الغرير ..
يجوس خلال البلد الأمين !

موسيقى

انج بنفسك انج بنفسك أيهذا الشريف !
فالأرض تجتليك والسماء تراك !
وماذا تهب لرجل كهل عجوز ؟ ..
يتأهب لدور رجل المقصلة الرهيب ؟ !!

موسيقى

سأهبك سأهبك بعض الدنانير
وسأمنحك ماتشاء من نقد ودراهم
وسأجزيك بثلاثين كأجر طفيف
كيما تكون سفاح المقصلة الرهيب !!

موسيقى

وتبختر روبن حول نفسه واستدار
ووثب فوق الحواجز والصخور والأحجار
قسما بهذا الجسم القوى الوسيم
أحسن القفز ذلك الكهل العجوز !

موسيقى

لما أكن سفاح المقصلة الرهيب
ولما أطح بحياة فى تجارة الدماء !
ولكن سحقاً لتلك الفعلة الشعاء !
وسحقاً لأول سفاح أزهق الأرواح !

موســـــيقى

لدى جعبة سجرت بأطايب الطعوم
ولدى جعبة زخرت بقمح وشعير
وجعبة مترعة بالخبز وملأى باللحوم
وجعبة للصور كيما أنفخ فى الصور !

موســـــيقى

وعندما دوى أول بوق فى الأجواء
هز أركان العلا وأرجف الأبدان
أقبلت مئات لنصرة البطل المقدام
يمتطون صهوات الجياد فوق التلال

موســـــيقى

وعندما دوت الدوية الثانية فى السماء
قلقلت الفضاء ورجت الجبال
وتراءى من أنصار البطل ستون
ينهبون بالجياد المطهمة وجه السهول !

موســـــيقى

« أى رجال هؤلاء » صاح الشريف !
أقبلوا قناصين يستبيحون البطاح !
« إنهم أعوانى » صاح روبن هود !
أتوا يردون لكعبتك المزار !

موسـيقى

ونزعوا المقصلة وذروا الرماد !
وقبعوا فى حمى الوادى الخفيض
حيث ضربوا عنق الشريف الغرير
وحرروا من براثنه ثلاثة الرجال !

موسـيقى

بينوري

كانت هنالك أختان في ضيعة من الضياع
ببينوري ببينوري . . .
فأقبل فارس يطلب أيديهن في التباع
عن كثب من خزان طاحون بينوري ! ! .

موسـيقى

فخطب ود الكبرى بخاتم وقفاز
ولكن لوعته للصغرى بلغت حد الإعجاز
وغدت الكبرى في غيرة وضيق
من الصغرى ذات الفتنة والحسن الدقيق !

موسـيقى

خذي بيدي وهيا يا أختاه يا أختاه
كيما نشهد سفائن الآب ونلقاه
هكذا صاحت ذات صبح أبلج بهيج
الأخت الكبرى فهيا بنا للخروج !

موسـيقى

وجلست الصغرى على صخرة من الصخور
وبغتة دفعتها الكبرى إلى اليم المسجور

أمسكي بيدي بيدي يا أختاه ..
سيكون لك نصف إرثي والجاه

موســــيقى

أمسكي بيدي بل ذري قفازك يظفر بالمساس
ولن يكون خطيبي إلا لك الحياة دون الناس!

موســــيقى

سحقاً لليد التي سأمد اليها الحياة!
أواه كم مزقت نياط قلبي أواه!
وكم خلبت وجنتاك وشعرك الجميل
اب وصيفتي منذ الأمد الطويل!

موســــيقى

وظلت الفتاة تارة تسبح وتارة تغوص
حتى بلغت خزان الطاحون والتمست الخلوص
وخرج ابن الطحان على غوث الهتاف
فألفى الفتاة التف بها الموج أى التفاف!

موســــيقى

أنظر! ماذا هناك يا أبت في الماء!
أتراها إنسية أم بجعة بيضاء؟!.
فهرع الطحان صوب الخزان
واخلولق أن يصعق حين تبدى وجه إنسان!

إنك لن تستطيع أن ترى قدها المشوق !
فقد تمزق وثاق قدها شر تمزيق !
وإنك لن تستطيع أن ترى قدمها الصغير
فقد أثرت فيه براثن الموج أى تأثير !

موســـــيقى

إنك لن تستطيع أن ترى شعرها البديع
فقد فقدت حلاه فى غور البحر الوسيع
إنك لن تستطيع أن ترى أناملها الرقاق
فقد فقدت فى قرارة اليم الماسات الدقاق !

موســـيقى

وعزف بالناى على الشط موسيقار
يزفر بالعزيف الدلك سويعة الإفطار !
وعندما اجتلى وجه الفتاة الصبيح
جهش جهشة من أعماق قلبه الجريح !

موســـيقى

وصب ناياً من عظام صدرها الأتلع الفتان
فانسكب السحر منه يلين قلباً من حجر صوان !
وأخذ ثلاث خصلات من شعرها الذهبى الناعم
وزخرف به الناى الجميل الحالم .. !

موســـيقى

وظعن إلى دار الأب الوقور . . .
حيث اجتمع حشد القوم الغفير . . .
وأسند الناى على صخر فى درب من الدروب
ثم أخذ يزفر بنغمة تهز أوتار القلوب !

موسـيقى

هنالك يجلس أبى الملك على العرش المكين
وهنالك تجلس أمى الملكة فى فرح حزين !
وهنالك يجلس أخى الكريم . . .
وعن كثب منه يجلس العريس العظيم .. !!

موسـيقى

ولكن آخر نغمة صدرت من الناى
بيينورى بينورى . . .
واحسرة على أختى ! واحسرة على هواى ،
عن كثب من خزان الطاحون بيينورى - بيينورى

موسـيقى

الغرور الذهبى

عندى سفينة فى أقصى بطاح الشمال
تمخر عباب الموج فى فتنة واختيال
ولشدما أشفق أن ينهب القرصان
سفينتى « الغرور الذهبى » التى تشق بحار الجنوب ...

موســـــيقى

ورفع عقيرته للربان الفتى البحار
كم يكون نوالى لو حطمت سفين القراصنة ؟!
وتوارى من البحر شبح قراصنة الأسبان المخيف
عندما تمخر باخرتك عرض بحار الجنوب ؟!...

موســـــيقى

من الذهب والفضة سأهبك الخزائن والكنوز
وسأمنحك يد ابنتى الفاتنة الحسناء عند الوصول
وخذ ما شئت من أموال وعروض ...
كيما تأمن الباخرة فى عرض بحار الجنوب !..

موســـــيقى

وزفر البحار وملأ صدره بالنسمات ...
وأمسك بيديه الثاقب الحاد البتار
ومد جسمه بالسبحات حتى وصل إلى سفين القرصان
وهى تمخر البحر فى أقصى الجنوب .. !!

موســـيقى

وأخذ يحفر ويشق بالمثقب ظهر السفين
بينما الركب بالنرد يلهو وبالورق يدور
وعندما تدفقت الأمواه زاغت الأبصار
وأخذت السفين تهبط إلى عمق سحيق ...!!

موســـيقى

وسبح الفتى البحار وجهة الشاطىء المأمون
يلتمس النجاة قبل أن يبلعه الموج الصخوب !
فصاح الربان الجائر سأرديك إلى المنون
وستغور فى أعماق اليم السحيق !

موســـيقى

وطفق الفتى يصرع الموج الى بر السلام
يلتمس النجاة قبل أن يبلعه الموج الصخوب !
فأرقدوه على متن السفين حيث أغمض واستسلم للمات
والباخرة تمخر عرض البحار فى الجنوب !

موســـيقى

ودثروا جثمانه وأرقدوه فى حظيرة من حظائر الأبقار ...
ولم يبرحوا أن قذفوه بين الزبد والأمواج
فلم يصرع الموج ولم يلتمس الخلاص
ولكن غاص فى عرض بحار الجنوب . !!

موســـيقى

دعاء الملاك

بينما كان يوسف يمعن فى المسير
سمع ملاكا يشدو فى نغم طروب
هذى الليلة سيلج إلى دنيا الوجود.
الملك الموعود من السماء !

موســـــيقى

وان يخرج إلى دنيا الوجود
بين أبهاء الملك وقاعات القصور
ولا بين فراديس الخلد الحسان
ولكن فى حظيرة الثيران !!

موســـــيقى

ولن يأخذ لجسمه الدثار
من حرير أو دمقس منفوش
ولكن من كتان جميل
كما يتدثر جميع الصغار ...

موســـــيقى

ولن يتأرجح فى بهجة ومراح
فى أرجوحة من فضة أو ذهب نضار
ولكن فى أرجوحة قدت من أخشاب
ككل أراجيح ليلة الميلاد !!

موسـيقى

ولن يعمد جسده البض الجميل
فى سلاف أبيض أو خمرة حمراء
ولكن بماء الربيع العذب السلسبيل
الذى تعمد به جميع الناس !!

موسـيقى

الجمال الجائر

فى سكارلد مسقط رأسى الأخاذ
تقطن غادة تخلب الألباب
أدرك الشباب من سحرها مس من خيال
تسمى بربارا إلن ....

موسيقى

فى غضون مايو المراح ....
عندما تتفتح الأزاهر وتورق الأدواح
رقد « جيمى » يكابد سكرات المنون
من أجل حب بربارا إلن ! ....

موسيقى

وأرسل رجل من لدنه عسى أن تلبي الدعاء
إلى البلد الذى آثرت فيه المقام
أقبلى أقبلى إلى مولاى العزيز
لو كنت أنت بربارا إلن ! ....

موسيقى

فسيماء الموت ترتسم على محياه

ووخزات الآسى تعيش بين حناياه
أسرعى أسرعى إلى مولاى العزيز
لو كنت أنت بربارا إلن ! . . . .

موســــيقى

لئن كانت سيماء الموت ترتسم على محياه
ووخزات الآسى تعيش بين حناياه
فلن يدركه سوى برء يسير
من أجل لقاء بربارا إلن . . . .

موســــيقى

رويداً رويداً هبت من الرقاد !
ورويداً رويداً دنت منه فى الفراش
وعندما قشعت عنه السدول
ظنت أن أدركه المات . . ! !

موســــيقى

أواه ! عدت على العلة وعم البلاء
وكل هذا من أجل بربارا الحسناء !
مآ كانت لى بمثابة الروح الشفيق
وقلبها تسرى فيه بحبي الدماء !

موســــيقى

لاتنكر نهاك أيهذا الفتى النبيل !

فعندما أترعت الكأس من الخمرة الحمراء
طفقت أنخاب الحياة على الملأ تدور
فهلا نستك بربارا فى تلك الليلة السعداء ؟!

موسيقى

فأشاحت الفتاة بوجهها وجهة الجدار
وارتسمت قسمات الموت عليه كالظلال
فأزجى إلى رحبة أحيائه الوداع
وأوصى الرفق ببربارا الحسناء!

موسيقى

ورويداً رويداً نهضت من المكان
ورويداً رويداً تركت المحب الحبيب
فلم تقو قبالة الموت على الصمود
حتى يستوفى الفتى الأنفاس!!

موسيقى

وبينما تجوس الفتاة خلال المروج
سمعت نواقيس الكنيسة تقرع الآذان
وكل قرعة من دقات الأجراس
صاحت واحسرة على بربارا ألن! ....

موسيقى

أعدى لى الفراش الوثير يا أماه!

ودعيه ناعم الملمس رقيق المهاد !
فقد مات اليوم من أجلى الحبيب
وسأذوق غدا من أجله الممات ؟

موسـيقى

وداعا وداعا أيهذى العذارى
وعفا الدهر عما جنيت من خطايا
وخذوا حذركم من سقطة تلك الفتاة !
الفتاة القاسية بربارا إلن . . . .

دل الحبيب

جلست حسناء فى ظل خميل
تداعب يديها النواعم الرقاق
وعن كثب وقف فتى غض الإهاب
يحتزم المتاع ابتغاء الرحيل !

موسيقى

أين يافتاى أزمعت الرحيل ؟
فنهضت من الكرى قبل البكور
فهاجنى الخيال واجتاحتنى الظنون
إنك على وشك سفر بعيد !

موسيقى

فدنا الفتى بطرف كئيب
أى ضر لك فى هذا الرحيل ؟
سأرى فتاة ذات حسن بديع
أبهى منك بشأو عظيم !!

موسيقى

كم عبث بقلبي هواك الخداع !
فى الصيف وبين الأزاهير
غير أنى سأعيد إليك المزار
فى الشتاء حين تنهمر الشآبيب !

موسيقى

ولكن أيهذا الحبيب العزيز !
هلا تعيد إلى المزار ؟ !
لئن نظرت إلى الغيد الحسان
فما نظرت إلى غيرك من الرجال !

موسيقى

إذهبي واستأثرى بمن تشائين
فسوف أدرك من أوثر وأختار
فتلفوق حسناى خشعت الأبصار
ولن ترافقينى فى سفر أو رحيل !

موسيقى

وسوت الفتاة الهندام الوسيم
وتابعت الفتى حيثما يسير
فهتف أن انكصى على الأعقاب
فلن ترافقينى فى سفر أو رحيل !

موسيقى

ولكن أيهذا الحبيب العزيز !
هلا تسقيني ثانية كأس الغرام
واحسرة على حبي الأمين
وأنا لا أرافقك في سفر أو رحيل !

موســـــيقى

وفي أول بلد وطأت عليه قدماه
ابتاع خاتماً وعقدا نضيد النظام
ودعاها أن تعجل بالرجوع
فلن ترافقه في سفر أو رحيل !

موســـــيقى

وفي تالي بلد وطأت عليه قدماه
أتحف الفتاة بقفاز وفراء ثمين !
ودعاها أن تعجل بالرجوع
فلن ترافقه في سفر أو رحيل !

موســـــيقى

وفي تالي بلد وطأت عليه قدماه
طغى على قلبه فرح الحب العظيم
وأضحى يحمل لها الهوى من الأعماق
كما حملت له الحب المسكين !!

موســـــيقى

وفى تالى بلد وطأت عليه قدماه
ابتاع ثوب العرس البـديع
وجعلها سيدة الملك الوسيع
فى مدينة بيروك الفيحاء

موسـسـيقى

اللورد الشجاع

فى الخامس عشر من يوليو
بين درع حصين وسيف رفاف بتار
دارت واقعة فى الفلاندر
حامية الوطيس مهولة القتال
بذ أبسل البسلاء فى النزال
ثلاثة قواد من الانجليز الشجعان
ولكن أشد الفوارس فى الإقدام
كان المقدام لورد ولوبى

موســــيقى

وكان الآخر موريس القائد
محارب صلب العود مجيد المحامد
والثالث القائد ترنر صعب المراس
الذى لايلوذ من الوغى بفرار !
بخمسة عشر ألف مقاتل لعداه
لم يك هنالك سواهم واأسفاه !
قاتل أربعين ألفاً من الرجال
على شاطىء غارق فى لجج الدماء !

موســــيقى

اعتدل أيهذا النابل النبيل !
وحم بطرفك حول معمعة القتال
وسدد أيهذا الرامى السهم المصيب
ولسوف نهزمهم هزيمة نكراء !
وأنتم أيها الفرسان وأصحاب القناع
هلا أنتم لى مخلصون !!
سأغدو أول رجل فى النزال
« هكذا قال لورد ولوبى »

موســـيقى

وطفق العدو اللعين
يهجم فى عنف حامى الوطيس
حتى أنهى المعمعة فى جو رهيب
لا يخالجه فى النصر ارتياب
وتساقط من الطرفين مثخنو الجراح
يستدرون الرحمة من أفئدة الرائين
ولكن امرءا لا يستطيع أن يساوى فى الاستبسال
لورد ولوبى المقدام !

موســـيقى

ولساعات سبع أمام العيان
قاسى الجنود مرير القتال
حتى أدرك الرجال منا الأعياء

ولم يستطع فارطهم فى الوغى الصيال
وعدرا لحم جيادهم التى أدركها الحتوف
شهية من حلو نهك الطعوم
ونهلوا من الماء الكدر الآسن
الذى لم يستطيعوا اجتلاب سواه !!

موســـيقى

وعندما طعموا مما آتاهم الإله
جثوا على الثرى فى قنوت
وأزجو الصلوات لله فى خشوع
ولم ينفكوا أن ألفوا الصنيع
فتوهجت فى وجوههم الألوان
وجددوا عرك القتال
وانقضوا على الأسبان
وأذاقوا ألفا آخر كأس المنون !

موســـيقى

وبهام ذات حد ماض بتار
وبطلقات تشق أجواز الفضاء
انقض الجنود البواسل الشجعان
على العدو فى عنف مخيف
فأدرك حاملو ألوية الأسبان

ألا مندوحة من الفرار . . .
إذ وجفوا من السلوك الرهيب
الذى أبداه لورد ولوبى
موســــيقى
ولم يلبث الخصم العتى الرهيب
أن لاذ بالفرار السريع !
فاقتفاه جنودنا حيثما سار
حتى واجه فلول القوات !
ولكن صيحة دوت من الأعماق
فترددت الأصداء فى السماء
نصرا من الله والقديس للبلاد !
لج الغزاة فى الصياح !
موســــيقى
وألقت الأنباء فى انجلترا عصا التسيار
فى أهرع صورة يمكن أن تكون . .
ولم تلبث أن أحيطت المالكية بالأنباء
وبالنصر المحجل الميمون . . .
وكلل النصر هام اللورد المقدام
الذى حاز أعمق الحب وأصدق الولاء
من بين جميع لوردات الشرف والفخار
لفعال زاهرة كاملة الأداء !!
موســــيقى

وللجند الذين شاهوا فى القتال
وللجرحى الذين تخضبوا بجراح
وهبت المملكة لكل المعاش !
فاستحوذ كل فى اليوم خمسين بنسا !
ورفعت عن جميع الكواهل الأعباء الثقال !
ودعتها تحيا فى جو حر طليق
وهذا كله فعلته ابتغاء مرضاه
مرضاة المقدام لورد ولوبى

موسيقى

أين الشجاعة أيهؤلاء الانجليز النبلاء !
أبداً لم ترضخ لهزيمة أو استخذاء !
إن نكن فرداً والعدا عشرة أفراد
فلن يتطرق إلى القلوب وجل وإرهاب !
ولن نحجم عن خوض المعارك مع الأجانب الألداء !
وتخلص الأمة من ربقة الاستبداد !
وهكذا نتم الدور الدموى الخطير
الذى قام به المقدام لورد ولوبى

موسيقى

أغرودة أسكتلندية قديمة :

أى هيلين !

أتوق أن أرقد حيث ترقد هيلين !
فهيلين تتصايح على ليل نهار
أواه ! ليتنى أرقد حيث ترقد هيلين !
فى حمى كير كونيل الفاتن الميمون !

موسيقى

ويح القلب الذى جرفته الظنون !
وويح اليد التى سددت اللهب المطلوق !
فتساقطت من بين ذراعى هيلين . .
وأسلمت كيما تنقذنى الروح . . ! !

موسيقى

غدوت مأسوف النفس مكلوم الفؤاد
حين هوت حبيبتى ولم تنبس ببنت الشفاه !
وأدركتها غشية الموت فى كمد وإيلام
فى حمى كير كونيل الفاتن الميمون !

موسيقى

عندما سرت على ضفاف الماء
لم يكن خصمي سوى الحارس الرقيب
لم يكن خصمي سوى الحارس الرقيب
فى حمى كير كونيل الفاتن الميمون !

موسيقى

فنزعت من الغمد السيف البتار
ومزقت جسده فى قطع صغار
مزقت جسده فى قطع صغار !
من أجل تلك التى ماتت من أجلى !

موسيقى

أى هيلين الفاتنة الفائقة الرواء !
اسوف أنضد قلادة من شعرك الجميل
وأوثق بها خافقى إلى أبد الآبدين
حتى اليوم الذى أستوفى فيه الأنفاس !

موسيقى

ليتنى أرقد حيث ترقد هيلين !
فهيلين تناديني ليل نهار
أن دع مضجعك وانفض كراك
وأقبل عجلان إلى أحضانى

موسيقى

ألى هيلين ذات الوجه الصبوح والجسد الطهور
لو كنت برفقتك فأنا المبارك المبرور !
حيث تنعمين براحتك الأبدية فى سكون
فى حمى كيركونيل الفاتن الميمون ..!!

موســـــيقى

ليت رمسى يتوشى بالعشب النضير
ويخطر على الرمس خطران النسيم
وأنا أرقد بين ذراع هيلين الأمين
فى حمى كيركونيل الفاتن الميمون !

موســـــيقى

أتوق أن أرقد حيث ترقد هيلين !
فهيلين تتصايح على ليل نهار
وأنا مشوق لما تأتى به الأقدار
من أجل تلك التى ماتت من أجلى !!

موســـــيقى

شارلس كنجسلى

القرصان الاخير

انجلترا موئل بهيج لذوى الجاه والثراء
بل بلد عسير لنفس مثلى من الدهماء !
فليتنى أعاود شهود مرفأ الجوارى المنشآت
كثغر جزيرة آفز البهيج صوب أسبانيا قرب الخليج !

موسـيقى

فى آفز أربعون سفينة شامخة البنيان
مزودة بأسياف وأرماح ومدافع ضخام
وآلاف من الرجال يشرعوا يسنون القوانين
كيما ينصبوا ويطيعوا قائد الجيش الأمين !

موسـيقى

فأزمعنا بخزائن من صين وذهب الرحيل
سلب وغصب من قبيلة هندية الأعراق !
وطفق قواد السفين بقلوب من حديد !
يكبلون القوم فى جوع عراة العظام !

* * *

فى آفز يسمو النخيل وتربو الفواكه على شطئان نضار
وتغرد الببغاوات والقنابر والكنارى فى ابتهاج
وتولى حسناوات الزنوج من الذل الفرار
لتستقبل فى بشاشة بواسل السفين من البحار !

موسـيقى

كم كان جميلا فى آفز همس النسيم
وتدلى شباك التبغ من ذرا الأشجار
وحسناء الزنج بمروحة تجدد لك الأجواء
وتنصت لخرير عباب متكسر لا يصل للشطئان !

موسـيقى

فانقلب ظهر المجن ومشى على المتع الفناء !
وأصلتنا سفائن الحرب النار حتى الاستسلام !
واستمتنا طيلة اليوم حتى أدركنا بالدجى الانسحاق !
فلذت بفرار وأنا مكلوم من حومة القتال !

موسـيقى

تسعة أيام سبحاتى فى سغب قرب الزنجية الحسناء !
حتى غصتها حشرجة المنون قبل أن أقرأ عليها سلام !
فلما أزمعت إحدى الباخرات إلى « برستول » الذهاب
يممت فى انجلترا إلى ديارى لأستجدى حتى الممات

موسـيقى

والآن أدركني الكبر ولا أدرى إلى أين الرحيل
ولا أستطيع أن ألقى المداة أو السكون
فليت طائرا يحملني على جناحه عبر الخليج
حتى ألمح ثانية ثغر آفز البهيج . . . !!

موسـيقى

حسناء أيلنجتون

كان فتى موهوب الطلعة محبوب العشرة طلق الأسارير
وكان ابن سيد من سراة القوم كبير
تدله بحبه ابنة ناظر الضيعة القدير
الذى فى أيلنجتون يحيا . . .

موســـــيقى

ولكن الغادة كانت حيية خجولا . . .
لا تصدق عشقه الجارف ولا شروقه اللجوجا
بل لم تمكن تبسط حياله فى أى وقت الجبين
أو تتبدى فى لماح المحيا . . .

موســـــيقى

فلما تبين أصفياؤه ذهنه الشارد الضليل
وعرف أخلاؤه قلبه الوامق الذليل
أرسلوه فى بعث صوب لندن البلد البهيج
ليرتزق فى صنعة من عرق الجبين ! !

موســـــيقى

ومر من موكب العمر سبع سنين
لم ألمح فى الركب خلى الصفى الأمين
وأنا الذى ذرفت سخين الدمع ابتغاء مرضاه
كلما عنت شاردة أو آبدة فى هواه !

موسيقى

ترتع فواتن أيلنجتون فى غبطة وانشراح
وتلعب الكواعب فى فتنـة ومراح
ولكن ابنة ناظر المزرعة الحبيبة ...
تنسل من الجمع فى صموت وكتمان ...

موسيقى

وخلعت ثياب الفتنة الخضراء
وتدثرت بثياب ممزقة خلقاء
وإلى لندن الجميـلة أزمعت الرحيل
كيما تبحث عن فتاها الحبيب !!

موسيقى

وألقت عبر طريق مرتفع عصا التسيار
واليوم قائظ والطقس حار
واسترخت على ضفة معشوشبة خضراء
بينما مر على صهوة جواده الفتى المغوار ...

موسيقى

فالتمعت وجنتاها بلون وردى أخاذ
وأمسكت بالزمام وقالت فى صوت حنان
هب لى من لدنك يامولاى الرحيم ديناراً
ينفس كربتى ويجلو عنى الشقاء !!

موسـيقى

قبيل أن أهبك الدينار أيهذى الحسناء !
نبئينى عن مسقط رأسك أسوق إليك الرجاء !
فأجابت أيلنجتون : يامولاى الرحيم
حيث قوبلت بعاصف من الازدراء الذميم !!

موسـيقى

نبئينى بربك إذن يا حبيبة الفؤاد !
عساى ألقى بين يديك المراد
أتعرفين ابنة ناظر الضيعة فى البلاد؟
فأجابت «لقد ماتت منذ أمد طويل !»

موسـيقى

إن تكن ماتت فذرينى أمت وخذى جوادى
واحملى سرجى واقبضى زمامى !
وذرينى أظعن إلى بلد قصى المزار
لا يعرفنى فيه إنسان !!

موسـيقى

تمهل تمهل يافتـاى الحبيب !
فنال اليوم منك قريب !
لم تمت فتاتك بل هنا بجوارك تعيش
تتأهب كيما تـكون لك العروس !

موســـيقى

ذهاباً أيتها الأكدار ووداعاً أيتهـا الأتراح !
ومرحى أيتها المباهج وزه أيتها الأفراح !
فقد لاقيت حبيبى حبيبى الصدوق !!
بعدما كذبت لقاءه المرموق

موســـيقى



لورد تنيسون :

ليدى كلير

كانت الأزاهير عبقة الأنفاس ...
والسحائب تختال فى علياء السماء ...
عندما أحضر «لورد رونالد» أرنباً متألق البياض
كيما يزجيه هدية لابنة عمه كلير . ..

موســـيقى

لم يؤديا الفراق فى برود أو استخفاف
إذ أنهما مخطوبا الهوى لم يدب بينهما خلاف !
وسيزفان فى الغد عند شقشقة الصباح
فليبارك الإله هذا اليوم الأبلج الوضاح !

موســـيقى

إنه لا يحبنى لمحتد شريف وسؤدد كريم
ولا يحبنى لملكى الشاسع وجاهى العريض
بل هو يحبنى لنفسى الصادقة وروحى الأمين
وهذه هى الروعة تاهت ليدى كلير ..

موســـيقى

وأنت فى تؤدة الوصيفة إليس
تسأل من ذا الذى ظعن عنك منذ أمد وجيز؟
ذاكم ابن عمى تاهت ليدى كلير
وسأزف إليه فى الغد عند شقشقة الصباح!

موسيقى

«غفراً لله» قالت الوصيفة إليس
فكل شىء بغية الحق يلف ويدور
وليس لورد رونالد إلا الوريث
وأيم الحق أنت لست ليدى كلير ..!!

موسيقى

هل غاب رشدك وضاع وعيك ياوصيفتى !؟
فسددت قوارص الكلم وسببت محنتى !
فأقسمت أليس ورب العلا ومن ملك أزمتى
ما أروم سوى وجه الحق ياطفلتى ! ..

موسيقى

لقد استوفت أنفاس ابنة السيد الأكبر على صدرى
فصدقينى بقدس من سقانى وأطعمنى
أنى واريتها الثرى وهلت على الرمس التراب
ووضعتك عوضاً عنها أى طفلتى الحبيبة فى المهاد !

موسيقى

هراء هراء ! ومين مين ! ما جنته يداك
فلو كان هذا حقا يا أماه
فكيف اغتصبت أكرم رجل تسطع عليه الشموس
ماله منذ غوابر الأعوام من حقوق !!

موســـيقى

فهمست إليس ليس هذا يا طفلتى الآن
فاحفظى السر المقدس بين أطوائك أبد الآبدين !
وما ملكت يداك سيئول إلى اللورد
عندما تصبحين زوجة لسيد الرجال !

موســـيقى

فصاحت كاير لوخلقت مستجدية ساعة الميلاد
فانى سأفشى السر ولا أجرؤ على المراء !
فانزعى الحلية الذهبية التى تزين صدرى !
واخلعى عقدى اللؤلؤى الذى يتألق على جيدى !

موســـيقى

فهمست إليس ليس هذا وقت الاصطخاب
فدعى السر المغيب بين طى الخفاء !
فصاحت كلا بل أتوق إلى العرفان
أحقا يجثم الإخلاص فى بنى الإنسان ؟!

موســـيقى

أى إخلاص ! وأنت كالطفل الغرير !
لن يعتور رجلك فى نيل الحق تأخير !
هتفت إليس فى صوت مثير
سيطوينى الليلة ركب المنون !!

موســـيقى

ولكن هى لثمة لأمك العزيزة يا ابنتاه !
ويحى لقد أخطأت ابتغاءك فليغفر لى الإله !
فصاحت يا أماه يا أماه ... !
هذا غريب لمن اجتلاه !

موســـيقى

خذى ألف لثمة أيهذى الأم الرؤوم
ليت اللثمات تروى لهفة القلب المحروم !
وضعى أناملك على هامتى
ثم باركينى ياأماه قبل الرحيل ... !

موســـيقى

فتزملت فى إزارة وردية دكناء !
ولم تعد بعد ذلك الوريثة ليدى كلير
ومضت عبر الوديان وجاست خلال المروج
بزهرة فريدة يزدان بها شعرها الأثيث !

فوثب الأرنب الوسيم الذى أحضره اللورد الحبيب
وثب فى رفق ولين من بين أحضان إليس
وشرع فى إثر الفتاة يتواثب ويجول
ويقتفى علائم الخطى طوال السبيل !

موســـــيقى

فهبط اللورد مدارج حصنه الحصين
وهتف يا للخزى ! فى صوت ثائر حزين !
كيف تدثرت فى ثياب فلاحة من الريف
وأنت أنضر زهرة فى رياض الوجود ؟ !

موســـــيقى

فنطقت كلير فى صوت متكسر أسيف
لئن جئت فى ثياب فلاحة من الريف
فقد خرجت مستجدية من بطن أمى
ولست أبدا بليدى كلير . . . .

موســـــيقى

فصاح اللورد عنك هذى الحيل والحبائل
وذرى عنك هذى البدع والألاعيب
فأنا وأنت فى الأقوال والفعال سيان
والألاعيب صعبة المراس على المريد !

موســـــيقى

فاستقامت فى ازدهاء ومالت فى خيلاء
ولم نفقد مكنون الهوى من الضلوع
ورنت إلى عينى اللورد فى فتون
وروت له عن الوصيفة الأقاصيص !

موسـيقى

فقهقه فى نشوة وضحك فى استهزاء !
ومال وطبع عليها حيث جثمت قبلة الوفاء !
فسيان لست بصاحبة الإرث وأنا صاحب الميراث
فأنت ليدى كلير وسنزف عند شقشقة الصباح !!

والتر سكوت :

روزابل

أنصتن ! أنصتن أيتها الحسان المرحات
فلن أزهو عن وقائع الوغى بالأغاريد
بل حزينة التنغيم أسيفة التوقيع
تلك الأغرودة التي تبكي روزابل الحسناء !

موســـــيقى

أوثقوا ! أوثقوا القارب أيها البحارة البسلاء
فالحسناء الرقيقة الأحاسيس لا نبغي المكوث
في حمى القلعة الحصين
وتؤثر نضال الموج ولقيا الأعاصيف !

موســـــيقى

الموجة السوداء مبيضة الأذيال
والأنباء استطارت فوق الصخور والكثبان
أن قناصي الأسماك سمعوا جنية الأمواج
التي صاحت أن الحطام قريب !!

موســـــيقى

فى ليلة البارحة استشف العراف من التنجيم
أن كفنا يدثر السـيدة بالثياب
فلتمكث إذن فى حمى القلعة الحصين !
ولم تعبر البحر فى مثل هذا اليوم البهيم ؟ !

موسـيقى

وما هذا سوى أنها وريثة لورد ليند ساى العظيم
وستكون فى روز بن عروس الحفل البهيج !
وإن تكن هنا الأم الرؤوم
تمكث وحيدة فى قاعة الحصن الحصين !

موسـيقى

وما هذا كى تصاحب الركب الوثير
الذى تتايه واختال به اللورد الكبير
ولكن لأن السيد أبى من الخمر احتساء
إلا إذا ما اترعت روزابل الكئوس ! !

موسـيقى

وفوق « روزبن » فى هذا الليل الساجى الرهيب
تألق نور عجيب شديد الوهاج
أعرض من ألسنة اللهيب
وأحمر من شعاع القمر الألاق ! !

موسـيقى

والتمع فوق صخر حصن روزبن العتيد
ووشى الأشجار بلون شديد الاحمرار
وتراءى خلال شجر البلوط الكبير
وسطع فى الكهوف من بعيد !!

موسيقى

وبدت الكنيسة المنورة على أتون نار
حيث يرقد وجوه روز بن دون صناديق
وكل سيد تدثر بدثار من فراء
وتزود بعتاد وأسلحة من حديد !

موسيقى

وبدا كل شىء أشبه بتنور من لهيب
وغمرت القداسة العميقة المذبح المهيب
وتبهرج كل عماد بوثاق من أزاهير
وتوهجت بالنور أسلحة الأموات

موسيقى

وتجلت الجدران السوامق فى توهج والتماع
وتبدت الأزهار النواضر فى زهو وافتتان
وظل التوهج حتى حم القضاء
وجثم عن كثب من سلالات كثير . . !

موسيقى

ورقد هنالك من الأعلام أربعون
فى حمى الكنيسة المبارك الميمون !
وقد حملتهم القاعات المظللة السقوف
بينما حمل البحر جسد روزابل الجميل !!

.. موسيقى

ورقد كل قديس هنالك من سلالة كاير
بشمعة موقدة وإنجيل بين قرع النواقيس !
ولكن كهوف البحر أخذت تترنم مع الريح
بأغرودة الموت عن روزابل الحسناء !!

موسيقى

والترسكوت :

لوكنفـــار

البطل المغرار

ها هو ذا قد أتى من الغرب لوكنفار
يمتطى صهوة جواده المطهم الأصيل
بعدما أنقذ سلاحه الماضى وسيفه البتار
وأخذ سبيله فى غير سلاح وهو وحيد !!
مخاص فى الحب جرىء فى الحرب والقتال
لم يكن هنالك فارس مثل لوكنفار . . .

موســـيقى

فلم ينتظر بغية أن يستريح
ولم يجلس على صخرة من الصخور . .
إنما جاس خلال النهر حيث لم يلمح وجه إنسان
ولكن قبل أن يصل الى ديار العروس
كان البطل قد تأخر وكانت على وشك زفاف
لرجل كهام فى الحب جبان فى الحرب عروس لوكنفار

موســـيقى

فوجل فى بسالة وأبهة بهو الزفاف
حيث العريس والعروس والأخوة والأخوات والأقرباء
وتكلم وقد أمسك بسيفه والد العروس
ولم ينبس العريس ببنت الشفاه !
هل أتيت تعلن الحرب أم تنشر السلام ؟
أم أتيت كيما ترقص فى الحفل يالوكنفار . . .

موسيقى

لقد تدلهت بابنتك ولكنك غضبت على الغرام !
ولاعج الهوى يمتد فى قلبى امتداد البحر الجياش !
ولكنى الآن أتيت بحب ضائع وأمل مفقود . . .
لاشىء إلا لأرشف قدحا من راح !
فالغوانى يتخاطفننى وربات الجمال
ويتمنين أن يكن عرائس للوكنفار !!...

موسيقى

ولثمت العروس الكأس لتنهل أنخاب الغرام !
فرفع العريس كأسه وعب السلاف
فأرخت العروس الطرف متوردة الوجنات تبعث الزفرات
ولاحت بسمة على الشفاه والتمعت دمعة فى العيون !
وأمسك بيديها الناعمة قبل أن تولى الأم الانتباه !
وقال هيا نطوى الأرض الشاب لوكنفار !!

موسيقى

وخرج فى هندامه الأنيق مع ذات الحسن الصريح !
الذى لم تر مثله القاعات ولا القصور . .
وبينما الأم تسمر والأب ينفث الدخان
والعريس يعبث بقبعته فى زهو وخيلاء
همس العروس كان الشأن الأحرى والأمر الجدير
أن تزف العروس إلى البطل العظيم لوكنفار !!

موســـيقى

وبلمسة ليديها وبهمسة فى أذنيها . .
انسلت من القاعة الكبرى فى خفاء . .
حيث جثم عن كثب يرتقب العروس الحسناء
وتخطفها فى الرقص المنتظم السريع
قفزت فوق الجواد الأصيل وأطلقت ساقيه للرياح !
وصاح لقد كسبتها وسننطلق فوق الشطئان والأشجار !
واقتفى الحشد فوق الجياد المطهمة الآثار . .
ولكن كان قد غاب مخلصا فى الحب جريئا فى الحرب والقتال
الشاب لوكنفار البطل المغوار . . .

موســـيقى

جون كيتس :

امرأة جميلة

ماذا يحزنك أيهذا الفارس المدجج بالسلاح ؟
لحمت بين الأنحاء وأنت وحيد !
لقد ذوى الزهر على ضفاف البحيرة ..
وصمتت الأطيار الصوادح عن التغريد ..!!

موسـيقى

ماذا يحزنك أيهذا الفارس المدجج بالسلاح ؟!
فغدوت منهوك القوى محزون الفؤاد !
وقد زخرت خزائنك بالمحاصيل
وانساب بين يديك الذهب النضار !

موسـيقى

ألمح على جبينك زهرة من الزهور
مخضلة بأنداء الحب مضمخة بحمى الغرام !
وأرى على وجنتيك وردتين أدركهما الشحوب !
وسرى فيهما التصوح فى سرعة والذبول !

موسـيقى

قابلت غادة بين أكناف المروج
رائعة الجمال كأنها بنت ملاك !
ذات شعر طويل وقدم خفيف
وذات وجه صبيح وطرف عفيف !

موســـــيقى

طرزت لها عقداً من الأزاهر
ونضدت لها أساور من فل فى موئل عاطر !
فرنت إلى نظرة الطفل الغرير
وبعثت صيحة بديعة الإيقاع !

موســـــيقى

وأجلست الغادة على جوادى الجميل
ولم أسمع طيلة النهار البهيج ...
سوى صوتها الشجى وهى تتمايل وتتشادى
بغنات كغنات الملائكة ...

موســـــيقى

وأطعمتنى من ثمر لذيذ المذاق !
وغذتنى بشهد حلو الطعم عذب النقاء !
وكلمتنى بكلم عجيب ...
أنت لى نعم الحبيب !!

موســـــيقى

وحملتني إلى كهف بعيد . . .
حيث بكت وأجهشت بالنحيب . . .
فهممت أن أغلق طرفها الساجي
بقبلات أربع شهية اللقاء .. ! !

موســـــيقى

وأخذت تغرد للكرى حتى أدركني الرقاد !
فأخذت أحلم ! أجمل بالحلم السعيد !
ولكن كان لعيني الحلم الأخير
واحسرتاه على التل الثلجي الرطيب !

موســـــيقى

رأيت حشداً من الملوك والأمراء
وجمعاً من الجنود شاحبي الوجوه يتصايحون
اقبضوا على هذي المرأة الحسناء دون إشفاق !
وأوثقوها بالقيد الوثاق الشديد !

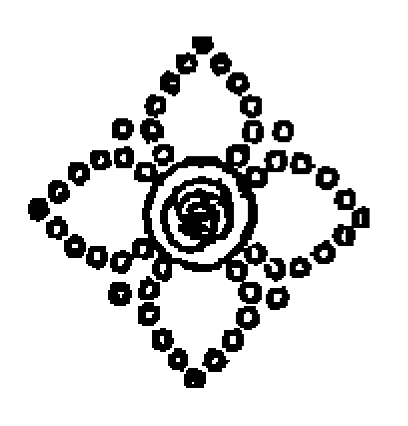
موســـــيقى

ورأيت شفاههم الباهتة تصرخ وتصيح
وسمعت أصواتهم الرهيبة تشق أجواز الفضاء
فنهضت من حلمي على الجلبة والضجيج
ووجدت نفسي على ثلج التل الرطيب

موســـــيقى

وهأنذا أحوم اليوم وأجول
رغم أن الحال تتحول والزمن يزول
وذوى الزهر على ضفاف البحيرة
وسكتت الأطيار الصوادح عن التغريد !!

موســـيقى



هنرى كنجسلى :

توبة ماجدلين

وقفت ماجدلين على باب ميكائيل
يجذبها شعاع إلى الدخول
وعلى فنن يوسف الجميل ترنم طائر أسود الريش
دعها تدخل . . . دعها تدخل . .

موســــيقى

« ألم تنظرى إلى هذى الجراح؟ » قال ميكائيل
هلا تعرفين جريمتك النكراء ؟
إنه ظلام الليل شقشق الطير الأسود
دعها تدخل . . . دعها تدخل . .

موســــيقى

أجل ! لقد رأيت الجراح
وأعترف بجريرتى فى الوجود
« إنها تعرفها تعرفها » شقشق الطاير الأسود
دعها تدخل . . دعها تدخل . . .

لاتحضري هبات ولا قرابين صاح ميكائيل .
فلن تغني عن جريرتك شيئاً
إنها « آسفة آسفة » .. شقشق الطير الأسود
دعها تدخل .. دعها تدخل ..

موسيقى

وعندما ترنم الطير للرقاد
وبدا الليل ينشر بساط السواد
أقبل ملاك وفتح باب ميكائيل
فدخلت تائبة ماجدلين ..

(تم بعونه تعالى)

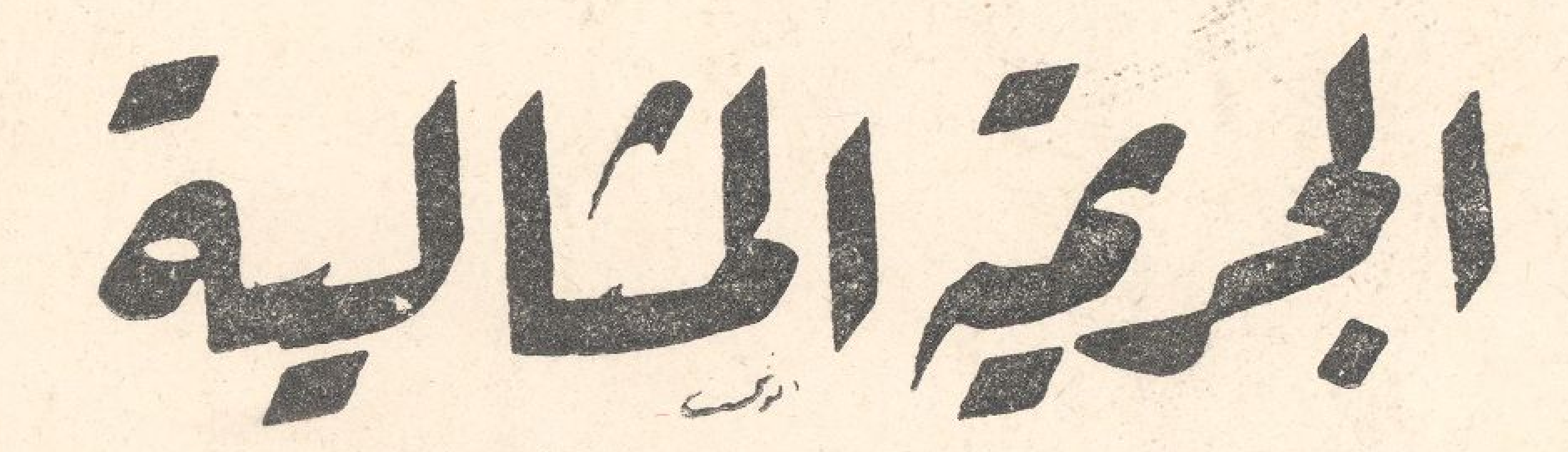
هيئة قناة السويس

مناقصة عامة

تطرح هيئة قناة السويس فى مناقصة عامة عملية إنشاء مبانى أربع عمارات سكنية لموظفى الهيئة ببور فؤاد . ويمكن الحصول على مستندات المناقصة بالحضور شخصياً لقسم التخطيط بالاسماعيلية وذلك نظير مبلغ خمسة عشر جنيهاً وتقدم العطاءات باسم السيد رئيس هيئة قناة السويس (قسم التخطيط) بالاسماعيلية فى ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ٣ يوليو ١٩٦١ على أن تكون مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ١٠٠٠ جنيه مصرى ولن يلتفت إلى أى عطاءات تقدم بعد التاريخ الموضح أعلاه أو غير مصحوبة بالتأمين الابتدائى المذكور .

روايات عالمية

تقدم يوم السبت ١٧ يونية ١٩٦١



قصة بوليسية مثيرة من نوع جديد

تأليف

إيرل ستانلى جاردنر

تعريب الاستاذ

شفيق اسعد فريد

الكتاب ١٠٥ الثمن ٥ قر

صدر يوم الخميس ١٥ يونية (حزيران) سنة ١

الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

١٥٧ ـ شارع عبيد ـ روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥